

الأبحاث

بقلم مطاع صفدي

ان مجلة ادبية فكرية ((كالاداب)) ، عندما تصدر عددا ممتازا عن فلسطين ، فانما تعد القارئ بان تمده - طبعاً - بابحاث عن النكبة ، كما وعنتها ثقافة الخمسة عشر عاما الماضية . ولو اننا تخيلنا تقسيما منطقيا للابحاث ، كما تفعل ((الاداب)) في اعدادها الممتازة السابقة ، لكننا عثرنا على دراسات عن اثر النكبة في الشعر ، في القصة ، في المعاناة الادبية .. الخ. من فنون الكتابة .

ولكن الامر مختلف جدا مع هذا العدد الممتاز . فانك لن تقع على مقالات او دراسات ، تتصدى لمثل هذه الموضوعات التي يوحى بها عنوان العدد . فهناك بالاحرى بعض القصص والقصائد ، التي تابعت جو التأثير المعناد ، بالنكبة . بينما اقتصرت المقالات القليلة المبشرة بين دفتي العدد على معالجة بعض زوايا من قضية فلسطين ، بروح صحفية او دعاوية خالصة ، وهي اقرب الى العرض السياسي اليومي .

فهل نقول ان السبب في فقر عدد (فلسطين) من الابحاث الحقيقية ، هو ايضا جزء من مشكلة الكتابة لدى ادبائنا ومفكرنا ، المشكلة التي طرحت للاستفتاء في مطلع العدد الممتاز . وهل نقول كذلك ، ان جزءا من مسؤولية هذا السبب يقع على عاتق المجلة نفسها؟ . وعلى كل حال فان الكتابة عن ادب النكبة وفكر النكبة ، يبدو لكثير من الذين اعادوا ان يكتبوا على صفحات المجلات ، اشبه بامر يناقض طبيعة السرعة والنزق والفورة اليومية التي ياخذ كاتب العصر نفسه بها . فليس من السهل ان يحاول ناقد للشعر ، ناقد للقصة ، محلل للفكر ، ان يرجع القهقري خمسة عشر عاما - وان كانت مدة ليست بالطويلة - لينقب هنا وهناك عن نماذج من ثقافة النكبة ليدرسها ، ويقدم للقارئ موضوعا شافيا عنها .

ان ذلك الجهد الدراسي اصبح غريبا اليوم على كثير من الكتاب الشباب ، الذين يفضلون التعبير عن احساسهم الحاضرة ، بنزوات من الكلمات يسمونها قصة او شعرا ، ويتخلصون منها ما ان يلقوها الى صفحة بضاء في مجلة ما . ثم اذا ما جذبت مسؤولية الجهد بعض هؤلاء الى الدراسة الجادة ، فانهم سرعان ما يعرضون عن الموضوع ، شعورا منهم سلفا بتفاهة الانتاج الذي تصدى للتعبير عن ثقافة النكبة .

والحق ، كما قلت في جوابي على الاستفتاء ، ان كثيرا من ذلك الانتاج تمخضت عنه بعض الاقلام ، بعيدا عن قاموس النكبة المباشر . فاذا ما طلبنا رؤيا انسانية او ماورائية للنكبة في القصة ، فقد نثر عليها ، ظلية او اقرب الى الظل ، في اثار ليس لها عناوين النكبة نفسها . واذا بحثنا عن مشروع معاناة وجدانية للماساة الفلسطينية في الشعر ، فقد نلقاها في نوازع مأساوية مطلقة لدى بعض كبار الشعراء في المرحلة الماضية . واما ان الفكر القومي قد تآثر بالنكبة، فهذا مما لا شك فيه . بل ان تأثيره ابلغ في هذا الميدان ، من اي تآثر

آخر . واما ان الواقع القومي نفسه - وتلك هي الدائرة الاوسع والمطلوبة - قد انفلج سلبا وايجابا مع تحريض النكبة ، فهذا ايضا ما تشهد عليه تجربة الثورة الشاملة ، والثورات المضادة ، التي بعثت عليها في اقطارنا العربية المختلفة .

حتى انك لا تستطيع ان تعتبر اثرا للنكبة في الثقافة ، كل ما لم يجاوز دائرة الصدى للصرخة الاولى . واذا ما قبعت الثقافة عند حدود الاصداء لوفائع امنها ، فلن تكون وجدانا حضاريا باعنا على حياة اخرى ، غير حياة الصدفة التاريخية الخالصة .

والمسألة في الواقع هي : هل خلقت النكبة المعاناة ، وهل ارتفعت هذه المعاناة الى مستوى تكون الوجدان المأساوي لدى انساننا وحضارتنا . ثم هل جاء الادب والفكر ، من جملة ادوات التعبير عن هذا الوجدان المأساوي ، فكان لهما دورهما المطلوب ؟ كل ذلك مما يصح اساسا اصيلا لدراسة اصيلة .

فالكتاب الذين تصدوا للجواب على الاستفتاء في مطلع العدد الممتاز ، كانت هناك خطوط اساسية واحدة تقريبا في اجوبتهم جميعا، وان اختلفت التعابير واساليب هذه التعابير عن الملاحظات الواحدة المتشابهة . فهم متفقون على ان ادب ما بعد النكبة لم يرتفع الى مستوى النكبة . وهو تسليم مباشر يتفق مع ايحاء السؤال في الاستفتاء . السؤال الذي ينطلق من حقيقة التفاوت بين فداحة النكبة واثرها التواضع في الادب العربي . ولقد اعتبر الكتاب هذه الحقيقة بمثابة بديهة . وراح كل منهم يبحث عن الاسباب . ولكن مع ذلك فان هؤلاء الكتاب قد لاحظوا جميعا ان هناك اختلافا نوعيا بين ادب ما قبل وما بعد النكبة . ورأى الدكتور سهيل ادريس ان ((الكارثة الفلسطينية قد خلقت في نتاجنا الادبي الحديث ، فتسرة انتقال لها سماتها الخاصة ، واهمها تعبير عن القلق والضياع)) . ولكن هذه السمات لم تنضج بعد ، بسبب ان الجيل الجديد الذي يعانيها هو نفسه ما زال حديث السن ، وما يزال يتابع تخمر تجربته تلك .

وكان الدكتور سهيل قد ارجع سبب الضعف في ادب ما بعد النكبة الى ((ان النكبة لم تنته بعد)) ، و ((ان ما تخلفه من احداث ، على الصعيد السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، لا يزال من الحيوية والعدانة المباشرة ، بحيث يمتنع على النضج الفني ، والاستبطان العميق)) . ومن جهة ثانية فان اثار النكبة لم تستقر في النفس العربية بعد ، لان الترقب والامل بمحو عار النكبة ، يجعل الادب لا يلامس الا السطوح دون الاعماق ، والا فانه ينبغي اما ان تثبت النكبة بانهارها من تشريد وتمزيق ، واما ان تمحي بعارها نهائيا . . وعندئذ ربما خرج الادب العظيم المرجو .

ولا شك ، انك ان مررت بهذه الآراء سريعا ، فلن يستوقفك فيها شيء مفاجئ او غير عادي . ولكنك عندما ترى الاخ غسان كنفاني يلح الحاحا متناميا مع سياق حديثه على الطابع الموقت لمعاناة النكبة ، وعلى ((جو التوقعية)) - على حد تعبيره - ، فسوف تقع على نبرة فكرية خاصة نسنحق التأمل في لوحة تحليل هذه المشكلة المطروحة على بساط البحث . وهذا ما سناقشه في حينه . ولكن قد يظن القارئ متوقفا عند (الاحراج) الذي حصر فيه الدكتور سهيل المشكلة ، عندما قال ((فينبغي لهذه الكارثة ، لكي تكون موضوعا كبيرا ناجزا ، ان تنتهي اما بتثبيت النكبة ، وما يستتبعه ذلك من تشريد

وتمزيق ، واما بمحوها نهائيا . «) والحق ان هذا الاختيار الذي يضع الدكتور سهيل التاريخ بين قرنيه - كما يقول الفلاسفة - اما تثبيت النكبة ، او محوها ، كشرط للاستقرار امام المصيبة او امام زوال المصيبة ، امر قد لا تفرقه بسهولة لفلسفة الابداع في المنطق الحضاري . فليس المهم ان يكون الحدث التاريخي اما انه موجود ومستمر كله ، او انه منعدم وزائل كله . ذلك تجريد هندسي لمنطق السيالة التاريخية ، الذي لا يعرف الاستقرار الا انه نمو وتناقض حي متواصل . والادب كذلك ، ليس شرطه ان يتحدث عما هو مستقر او ثابت . بل ان عدم استقرار النكبة على وجود او على زوال ، هو نفسه دليل دورها الحيوي الكبير في تفجير امكانيات الوجود العربي ان سلبا او ايجابا . هذا اذا لم نعترف حتى الان ان النكبة ، باعتبارها ذلك الحدث التاريخي الفاصل ، قد وجدت فعلا . واما ما سينتظر عنها فذلك ايضا شيء اخر ، له وجوده الاخر .

واراني قد انفتحت ايضا مع الاستاذ منير البعلبكي ، عندما لم يهمل او يتشامخ من النتائج الادبية للنكبة عندما قال « يخيل الي ان نكبة العرب في فلسطين ، كان لها في ادبنا المعاصر اثر اكبر مما نتصور ، او مما نحب ان نتصور ، في بعض الاحيان » . وللتدليل على هذا الرأي يلجأ الاستاذ البعلبكي الى برهان مباشر ، فيشير الى القصة والشعر والدراسات التي حاولت ان تعي النكبة وتنفعل بها . ثم يتحفظ هو الاخر عن ان يجد اثرا ادبيا عن فلسطين يكتبه الخلود . هذا مع تاييده على وجود (عرق) تقدمي « يتناسج مع بنية الشعر العربي المعاصر والقصة العربية المعاصرة تناسجا يكاد يكون عضويا . ان هذا (العرق) وليد النكبة الفلسطينية من غير ريب . «) وكان جواب الدكتور احسان عباس يسمى الى ان يلم باكثر من خط من خطوط المشكلة . فاورد في مطلع حديثه ملاحظة اساسية عن معنى التنفير او التحول الذي احدثته النكبة في نوعية الادب . فقال « ان النكبة عملت في الميدان الادبي بطريق غير مباشر ، فنفت اشياء

بعد دراسات وابحاث استغرقت عدة سنوات ، تمكن علماء الكيمياء

من اكتشاف :

DUO SUISSE

الدواء العجيب الذي يزيل قشرة الرأس والحكالك

وبعض تساقط الشعر

مختبرات ديو سويس - سويسرا

الوكلاء العامون والموزعون

مئيمنة - شارع البرلمان ، بيروت

كثيرة كانت رائجة في الجو الادبي ، كالامعان في الذاتية والانسياب وراء ادب المنعة ، وبرزت الحاجة الى ادب مرتبط بواقعنا الاجتماعي، ومهدت لظهور قيم ادبية جديدة . «) ولعمري ان ذلك هو من اكبر افضال النكبة على الادب . فلقد كان شبه اعجاز ان يعود الادب الى معين حياته الاول ، كما كان ادب اسلافنا الجاهليين خاصة . ومع ذلك فان ذلك الادب الذي انفجر اثر النكبة لم يبرح عادات التفتيح والندب التي اعتادها الشعر المنفعل بالصدى . كما ان افتقار الاديب الى الحس الشمولي والارتفاع الى مستوى المصير الواحد ، والابتعاد عن اية ذاتية اقليمية او حزبية ، كل ذلك مما عوق نضوج هذا الادب المظلوب .

واما الاخ غسان كنفاني ، فقد اتى جوابه ليشمل ابعاد مقال مطول . وله بعض الحق في ذلك ، لولا ان طبيعة الاستفتاء تطلب الاختصار مع الابراز لمفاصل المشكلة . ولكن غسان ، وهو واحد من الذين يسعون الى معاناة النكبة ثقافيا بعد معاناتها عضويا وماديا ، لا يستطيع ان يمر بهذا الاستفتاء عابرا .

وينطلق غسان من بديهية تاريخية واجتماعية ، تربط حركة الفكر بحركة الاحداث السياسية والاجتماعية من حولها صعودا او هبوطا . وهو يرى ان انتكاس ادب النكبة راجع لانتكاس الاحداث السياسية والاجتماعية المرتبط بها . بل اكثر من ذلك فان مختلف الصمد الاجتماعي من سياسية وغيرها متخلفة ايضا عن اللحاق بمستوى الفاجعة ذاتها . وبالرغم انه من الصعب على الفارئ ان يستريح لهذا التعميم الذي اطلقه غسان ، فانه يستطيع على الاقل ان يوافق على التجربة دون مضمونها . اي انه قد يشعر بان مغطيات الاحداث الضخمة التي تلت حدث النكبة ، هي ايضا لم تقط ثمرتها المطلوبة بعد . ولكن اي مؤرخ حضاري ، لن يحتاج الى بعد زمني طويل ، كي يلحظ بسهولة كبيرة ، كيف ان اثاره النكبة للوجود العربي ، كانت اثاره من العمق والشمول بحيث تصح منطلقا تاريخيا جديدا للامة العربية ، ولتختلف ظروف تناقضاتها الحية المستجدة .

ثم يسمى غسان الى التفصيل في شروط ايجابية وسلبية اخرى احاطت بعملية تولد الاثر الادبي الكبير المنتظر . وقد يلح خاصة على (الجو الموقت) او (جو التوقفة) الذي رافق احساس الابداء السباب باستمرار ، فجعلهم يعيشون ضمن اطار العرقة لا خارجها ، واعطاهم ذلك انفعالا مشبوبا ، يتناسب مع توقعات العرقة نفسها . ولست اشك ان التوقفة هذه قد تعرقل عملية الكشف العقلي والموضوعي المتكامل لابعاد المأساة ، والعلو بها الى نموذج انساني دائم اليبقاء . ولكننا لو تذكرنا ان انساننا العربي كان يعاني من حاجة شمولية الى اكتشاف ينابيع اصله ذاته ، وانه كان دائما منذ النكبة، امام انعطاف تاريخي لكي يغير من وجوده تغييرا نوعيا جذريا ، لو تذكرنا ان الاديب بالتالي ، كانت مهمته ايضا ان يرود هذه الينابيع لوجود الانسان العربي الجديد ، ان يكتشفه ويكشف معه ادواته الحضارية الجديدة ، لعلمنا ان اصل المشكلة كلها كانت عبارة عن بحث عن الاصل . وهكذا فانه كلما ارتفعت شدة التوتر عند ادب راند بهذه الحاجة، لس هذا الوجدان المساوي الشامل الذي يخلق الآثار الباقية ذات القيمة الانسانية الباقية كذلك .

واما ان غياب الاثر الادبي الكبير كان منوطا ايضا بغياب العمل السياسي الكبير ، فذلك هو من باب ربط الفرع بالفرع ايضا . ولو تساءلنا عن سبب غياب العمل السياسي الكبير ، لنقول لنا مثلا انه انعدام الوعي ، او انه سبب اقتصادي او قومي وهكذا نعود الى حلقة مفرغة .

ان البحث عن الاصول ، او هذه الحاجة الى ايجاد الخلية الاولى للوجود الجديد المقترح ، هو او هي لتوقفة الاشمل التي تهز بعض الوجدانات الطبيعية من الامم ذات الفواصل الحاسمة من تاريخها . ولا ادل على ذلك من ان امتنا العربية تبذر اليوم ، وخلال عشر سنوات فقط ، اكثر البذور اصالة في تربة حضارتها المستقبلية . لقد عشنا

في هذه الفترة من التطلعات ذات الجدوى الواقعية والثورية في حقول حياتنا ، ما لم نغتنم خلال الف سنة على الأقل . ولكن طموحنا المتوقع للاكثر وللأكبر والاعظم يجعلنا نستعين احيانا بمنجزات النكبة سواء نحو الافجع او نحو الازوج .

وان البحث عن الاصل او الينبوع سوف يتبعه بحث عن الاسلوب او المجرى . واذ نحن نحاول ادبا جديدا خالصا يوازي زخم توجساننا ومثلنا وقضايانا ، فاننا لا بد ان نثبه طويلا ، قبسل ان نجد قلمنا وحبرنا وورقنا المصنوع من دمنا وحده . فليس عصرنا اليوم هو استمرار طبيعي لما سبقه . انه خلق من العدم . وكذلك تأثرنا . كذلك ادبنا وفكرنا .

ويتناول اخيرا الدكتور محمد يوسف نجم هذا الاستفتاء بنظرة تاريخية ناقدة ، فيدلل على خصب هذه الفترة اللاحقة بالنكبة ، ويستعرض اسماء الشعراء والكتاب ، كما يبرز الاختلاف النوعي لادب النكبة . ويظهر معالم جيل نامل من الكتاب ، يشبه جيل ما بعد الحرب الثانية في اوربا . وقد كان اشار الى اهمية هذه الصلصلة القوية بين جيل النكبة وبين معاني الاحداث القومية ، بينما انعدمت او هزلت هذه الصلصلة لدى جيل ما بعد الحرب الاولى واحداثه الثورية المختلفة . ولكن الدكتور نجم يأتي بهذا الحكم المتفق عليه مع كل من اشترك في هذا الاستفتاء ، بان ادب النكبة (رخص العود ناعسم الاظافر) . ولعله يريد من ذلك انه ادب شاب اكثر منه ادب ضعيف . والادب الشاب ، ينتظر منه النضوج والتكامل .

وإذا اتينا الان الى الابحاث في العدد الممتاز ، بعد ان وقفنا وقفة طويلة نسبياً عند اجوبة الاستفتاء لاهميتها والنصاقها بموضوع العدد اكثر من غيرها ، لوجدنا اننا امام نوعين من هذه الابحاث ، بعضها كان سياسيا عسكريا ، وبعضها كان ادبيا . والنوع الاول اغزر وانمل ، واما النوع الثاني فليل وعابر سريع . ولعل من اهم ابحاث النوع الاول ، ودراسة العسكرية الواقية التي قدمها احد الدبلوماسيين والعسكريين السابقين ، وهو الاستاذ هيثم كيلاني . وبالرغم من اني اقرأ له لأول مرة ، الا ان موضوعه ، الذي هو نتيجة اختصاص ، يبدو انه متكامل رصين . ولست اعتقد انني مستطيع تقدير تفاصيل هذا البحث الاختصاصي ، ولكنني مع هذا اشر باهمية هذه الدراسة ، والاضواء التي تلقيها مشكلة اسرائيل بصورة واقعية مباشرة . وحبذا لو ان عددا من الاختصاصيين قاموا بدراسات مفصلة تستند الى البحث والاستقصاء العلمي عن مختلف وجوه الحياة في اسرائيل . اذن لكان لنا ذخ من المعرفة المتكاملة عن اكبر سرطان ينهش من جانب الجسد العربي الماتج بالثورة .

والحقيقة التي يخرج منها قارئ هذا المقال العلمي هي ان اسرائيل بقدر ما تمنك من وجود هزيل بشريا وجغرافيا واقتصاديا وعسكريا ، بقدر ما تسعى الى تدعيم هذا الوجود بشنى امكانيات الدولة الحديثة القائمة على دافع الخوف المستمر من الزوال ، بتحويله الى ازالة الاخرين . وان العرب بالمقابل بقدر ما يملكون من وجود ضخم نسبة الى اسرائيل ، بقدر ما هم ضائعون مضيعون بالنسبة لكشف امكانيات هذا الوجود ، وتحويله الى ازالة اسرائيل نفسها .

فاسرائيل ذات الارض المقتنصة ، والامكانيات المستعارة من خارج ، لا يمكن ان تدافع عن نفسها ضمن حدود هذه الارض . ولذلك فلان دفاعها هو عدوان على ارض جيرانها ، وحرثها ينبغي ان تفتح ساحاتها وراء حدود الدول العربية نفسها ، كما حاولت ان تفعل ابان العدوان الثلاثي . وطبيعة هذه الحرب قائمة على المفاجأة والتحرك السريع والفدر . بينما اذا حوصرت اسرائيل ضمن ارضها ، فانها لن تصمد طويلا امام المدفعية والطيران ، ثم تكسحها المشاة من كل حذب وصوب . فالعرب اذن واقعة لا محالة بين العرب واسرائيل . واذ تناسى العرب هذه الحقيقة ، فان اسرائيل لن تنسأها لحظة واحدة من حياتها القصيرة على هذه الارض . واما نوقيت هذه الحرب الذي ارتبط بمشكلة تحويل مجرى الاردن ، وكيفية هذه الحرب ، فذلك ما يؤلف الموضوع السياسي الاول اليوم ، وفي هذه الفترة الجديدة من التوقع بعد مؤتمر القمة . ويستوقف القارئ للعدد الممتاز ذلك المقال المطول الذي كتبته

الاخ صلاح عيسى ، تحت عنوان (في اصول المسألة الفلسطينية) . والمقال محاولة مستفيضة لتطبيق بعض الاطارات الماركسية الصريضة والكلاسيكية على المسألة الفلسطينية ، في نطاقها الثلاثة ، العالمية الاستعمارية ، والقومية ، والمحلية داخل فلسطين .

ان هقال صلاح عيسى ، يشر كثيرا من المشكلات والتساؤلات التي لا يخلو بعضها من طابع المفاجأة والابهام العلمي . ومن الصعب في هذه المعجزة ان يتصدى الناقد لجميع تلك المشكلات ويناقشها . الا انه لا بد من الاشارة الى اخطرها .

ان جيلنا العربي ما زال يذكر سلسلة المواقف الماركسية او الشيوعية السياسية في بلادنا من قضايانا القومية والحيوية الاولى ابتداء من مرحلة التحرر من الاستعمار المباشر ، وكان للشيوعية حينها تحركات غريبة باسم الصراع الطبقي والامبريالية العالمية ، فتحالف مثلا الحزب الشيوعي السوري اللبناني مع الحزب الشيوعي الفرنسي ، وقاد حركة التحرر من الاحتلال الاجنبي ، حتى وصل به الامر الى استنكار الجلاء . وكان لهذه الشيوعية المحلية ايضا موقف غريب من معالجة الحزب الفلسطيني بين عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩ وما بعدها . اذ استنكرت هذه الحرب علنا بتخرجات نظرية ماركسية تصدم الوجدان الوطني . ثم قاومت الشيوعية ايضا اول انتصار قومي لحركة التحرر العربي في تحقيق الوحدة ، واستماتت لاجهاضها ابتداء من سوريا الى العراق (١) ، وعززت بعد ذلك الانفصال الرجعي ، وما تزال تواصل جهودها لمرقاة كل عمل وحدوي في سوريا .

ونحن مع ايماننا ان هناك فروقا جوهرية بين المواقف السياسية للاحزاب الشيوعية ، وخاصة الاحزاب هذه في البلاد المتخلفة الواقعة ضمن مناطق النفوذ الاستعمارية ، وبين الفكر الماركسي ومبادئه المختلفة المعاصرة ، فانه قد ثبت في فكرنا السياسي القومي ، انه كثيرا ما استعملت بعض الاطارات النظرية من الماركسية - والمبتسرة ابتسارا من اصل المذهب ، والمطبقة تطبيقا مقلوطا - لتبرير انحرافات سياسية خطيرة ، وخاصة عبر النضال العربي . وبدلا من ان تتوسع في مناقشة تفصيلية لهذا المقال الخطير ، فاننا سنكتفي بالاشارة الى بعض نقاطه :

١ - لماذا يحرض الكاتب على تنفيذ الحل الديني للمسألة الفلسطينية . وهل يستطيع الكاتب ان يهمل اثر التعصب اليهودي في الدعوة الصهيونية . بل الا يبدو واضحا ان ايدولوجية هذه الدعوة قائمة كلها على تجسيم المناسة الدينية لليهود والاستفادة من كافة العوامل الميتافيزيقية والتاريخية في قصة تشرذ اليهود ؟ فاذا ما قام بالمقابل العامل الديني الاسلامي والمسيحي ، كرد فعل له قيمته الواقعية في المعركة ضد الصهيونية وتجسيمها المادي في اسرائيل ، هل نحسن مضطرون لوصفه بأنه عامل تعصب ؟ وللكاتب ، مع هذا ، الحق في ان يستنكر استغلال البورجوازية الدينية لهذه القضية ، وتشكيل قيادة لها على هذا الشكل ، ففي الربع الثاني من هذا القرن كانت المشاعر الدينية احدى المحركات الاساسية للطاقة النضالية في صراعها السلبي ضد الاستعمار ، وضد طلائفه الصهيونية في هذه البلاد . وعلى ذلك فينبغي ان نميز بين شرعية هذا الانفعال في هذه المرحلة من نمو الوعي القومي ، وبين استغلاله من قبل الاقطاعية او البورجوازية العربية الناشئة .

ثم هل كان يمكن للعربي المسلم او المسيحي ان يتخلى عن شعوره الديني حينذاك ، وهو يرى اليهودي ، باعتباره اليهودي ليس الا ، يتدقق على وطنه ، ويستلبه شيئا فشيئا ارضه وسبل عيشه ؟ ومهما قيل عن ان العمال اليهود كانوا فقراء ايضا كالعمال العرب ، لكي نستنتج من ذلك ، انه كان على العمال العرب واليهود ان يتحدوا لمقاومة الامبريالية المتجسدة في الاستعمار الانكليزي اولا والاستعمار الجديد الاميركي ثانيا ، فان هذا التحليل قد يضعف حدود المعركة ، ويداخل بين العدو والصديق ضمن رابطة هي اوهى بكثير من الرابطة - التتمة على الصفحة ٧٦ -

(١) ان من غابت عنه هذه الحقائق او اخذ في نسيانها يستطيع ان يرجع الى الوثائق والمشورات التي تفضح مواقف الشيوعية من كل هذه القضايا في كتاب الاستاذ حكم دروزة عن الشيوعية والقومية العربية .

القصيد

بقلم الدكتور عز الدين اسماعيل

احب قبل ان ابدأ حديثي ان اقول كلمة تناء على العدد الماضي بصفة عامة من حيث فكرته وتنفيذه والفاية النبيلة التي اداها . فتخصيص عدد من الآداب لفلسطين عمل يشكر ، وان كان حق فلسطين على «الكلمة» ما يزال اكبر واكبر . وليس من حق احد ان يفقد ثقته في الكلمة ودورها او يتردد في تقدير فعاليتها قائلًا او متلقيا . فسوف تظل للكلمة اثارها الفعالة في النفس البشرية ، وستظل لها دافعيتها الاكيدة الى الحركة والعمل ، ما توافر لها عناصر الجدية والاخلاص . والعدد السابق من الآداب كان عددا جادا ومخلصا .

ثم ابدأ جولتي مع شعراء العدد وهم غير قليل . لقد اجتمعوا على ارض واحدة ، وتحركوا في اطار واحد ، وان تشعبت بهم المسالك والطرق ، واختلفت المنظورات والرؤى . فقصائدهم جميعا قد بدأت انطلاقها من نقطة واحدة ، طالما انطلقت منها كذلك من قبل قصائدهم وقصائد ، لهم ولغيرهم . فالارض اذن مطروقة ، او لنقل - دون مجاز - ان الموضوع طالما كتب فيه ، حتى ليتوقع الانسان انه قد صار من العسير الوقوع فيه على جديد . على ان هذه النظرة تبدو كذلك متشائمة . فصحيح ان كثيرا من القصائد التي تدور حول قضية فلسطين او ترتبط باي مشكلة من مشكلاتها الفرعية هو ترديد لنغمة او نغمات متكررة بكل ابعادها الفكرية والنفسية والفنية ، ولكن ليس معنى هذا ان كل الابواب والنوافذ قد غلقت . فما تزال القضية بكل مشكلاتها حية ، وما تزال نبعا لاثارات لا تنفد .

ولم يني بهذا الكلام لم اكن بعيدا عن قصائد العدد الماضي . فمن السهل - عند النظرة العامة - تبين ان في الامكان تقسيم هذه المجموعة من القصائد قسمين رئيسيين : فقسما ينتمي الى النغمات المألوفة المتكررة ، وقسما يوقع انقاما فيها اصالة وابتكار وجدة .

ولست اعني بنغمة القصيدة - جديدة كانت ام مكرورة - مجرد الايقاع الموسيقي او - اذا توسعنا قليلا - الاطار الفني الخارجي ، وانما اعني - مع مزيد من التوسع في المعنى - الكيان الكلي للعمل الفني ، شكلا وموضوعا وتناولا . ومع ان الموضوع في حالتنا ، بوصفه نقطة انطلاق ، يبدو موحدا فان هذا القسم الاخير من القصائد قد كشف لنا عن غنى هذا الموضوع ، وكيف ان الاثارات فيه من الممكن ان تتعدد وتتلون الى ما لا نهاية .

والحق ان موقف الانسان الشاعر من اي قضية قومية او انسانية انما هو موقف فريد له خصوصيته ، وما لم يبرز هذا التفرد وهذه الخصوصية في عمله فان عمله يظل في هذه الحالة من نوع «تحصيل الحاصل» كما نقول . فالانسان الشاعر لا بد ان يكون له منظوره الخاص ورؤيته الخاصة ، وان كان المنظور اليه قضية عامة مشتركة ، سواء على المستوى القومي او الانساني بعامة . واختلف المنظور والرؤية من شاعر لآخر - حين يتحد الموضوع او الاطار العام له - لا يعني بالضرورة التعارض بين وجهات النظر ، وانما يعني - في المحل الاول - استكشاف الزوايا الجديدة للرؤية ، والابعاد الجديدة للمنظور . وفي حدود هذا المعنى كان تقسيبي المبدئي لقصائد العدد الماضي .

ولعل هذا التقديم يعفني الان من الوقوف عند كل قصيدة على حدة ، فهذا امر يطول ، ولكنني ساقف بالضرورة وقفات مليية نوعا عند بعض القصائد .

وابدا بان اسجل ظاهرة ملموسة في مجموعة من قصائد العدد الماضي هي ظاهرة العودة الى التاريخ القديم واختيار مواقف منه تصلح نقطة انطلاق نحو الحاضر وزاوية جديدة لرؤية السواقع

واستكناهه . وهذه المواقف التاريخية ترتبط بالضرورة بشخصيات قامت في وقتها بدور بعينه عرفه الناس عبر التاريخ حتى صسارت الشخصية بذاتها رمزا لكل الدور التاريخي الذي ادته . على انه لم يكن من الضروري بالنسبة لشعرائنا الذين اتجهوا هذا الاتجاه استحضار كل الموقف القديم بكل حذافيره ، وانما كفاهم التعامل مع المعنى الرمزي التاريخي لهذه الشخصية او تلك . ومن امثلة القصائد التي اتجهت هذا الاتجاه قصيدة «شمشون» وقصيدة «الكلدان في المنفى» وكذلك قصيدة «اصابع المطر» .

ما الذي يمكن ان ندل عليه هذه الظاهرة ؟ يمكننا ان نرجع الامر الى مجرد الاتجاه العام السائد في الشعر المعاصر ، اعني استغلال الرمز الشعبي في تفجير طاقات تعبيرية جديدة ؟ قد يكون هذا الفرض مقبولا ، ولكننا حين نمعن قليلا في هذه المجموعة من القصائد يلوح لنا معنى اخر . فالمحور الشعوري الذي تدور حوله هذه القصائد هو «العودة» ، ودبيب الحياة في النفوس وفي الارض الموات، وظهور البطل الذي يحسم المعركة .

نقرأ في قصيدة «شمشون» مثلا قول الشاعر علي كنعان :

وتدب في الانقاص كالنبض
حصى مخاض يستفز كوامن الارض
وحفيف روح - من سماء تلك القبة البلهاء - منقض
شمشون ينفض عنه اكداس التراب
فنهب في فرح طفولي عنيف
نكي ، نلطف جرحه بشفاها
وبما تبقى من تجلدنا التزيف
فيعود اقوى ما يكون مجنحا برؤى الشباب .

وتطالعنا نفس المعاني حين نقرأ في قصيدة «الكلدان في المنفى» قول الشاعر فواز عبيد :

بخنتصر
عاد حيا
عات مجنوننا وشاعر
سامريات رأينه .
كان فوق البرج مصنوبا كرمح من ضياء

فكما دببت الحياة في شمشون دببت كذلك في بخنتصر . وكما جاء الفال الحسن بعودة شمشون كذلك كانت عودة بخنتصر ضياء امسل يتسرب الى النفوس . يقول الشاعر على لسان بخنتصر :

«الف طوبى للصفار
لا تخافوا
لست ربا حافدا ... لست لها من غبار
انا سيف كان مدفونا وعاد
كنت في المنفى حبيسا .. ورجعت
لم امت ... نمت قرونا وبعثت»

ولا تبعد هذه الصورة كثيرا عن الصورة التي رسمها الشاعر فابز خضور في قصيدته «اصابع المطر» حيث يقول :

تري يعود «عاد» ؟
تلفه غلالة رموشها المساء
صفارنا يهللون ، هل يرونه ؟
جواده بالف حافر وحافر كبير
ورأسه بلا عيون ... الخ .

فهذه القصائد الثلاث تدور - كما قلت - حول محور شعوري واحد هو العودة . ويمكننا ان نقول انها لم تستلهم شخصيات شمشون وبخنتصر وعاد لمجرد التقليد المألوف في استغلال الرمز الشعبي وانما لارتباط هذه الشخصيات بارض المنطقة من جهة ، ولاتساق محور «العودة» الشعوري مع العودة الى التاريخ واستلهامه من جهة اخرى .

للرؤية اصبحت على القصيدة جدة وحيوية وجدية ، وخرجت بها عن الاطار التقليدي لقصائد النكبة ، كما لا يفوتني الاشارة الى قصيدة « حردفي الجديدة » للشاعر فؤاد الخشن . فهو وان لم يتحدث عن شيء في النكبة لقد كانت التجربة التي تعبر عنها القصيدة تجربة طريفة لا ينقصها الصدق ولا الحرارة . لقد حدثنا عن تحوله الايدولوجي من الغنائية الذاتية الى المشاركة الاجتماعية . ولم يكن الدافع الى هذا التحول قضية واحدة كقضية فلسطين ، وانما اشكال اخرى كذلك تكرر وجه هذه القضية في مختلف انحاء المجتمع الانساني . وتعمس لنا القصيدة بعد هذا صورة لهذا التحول ، لا من خلال التفكير النظري ولكن بوصفه نتيجة مباشرة للنظرة الواسعة الى واقع المجتمع الانساني . واذا كنا نتحدث في مجال القصة عن القصة ذات المحورين Double plot فان في وسعنا ان نستخدم هذا المصطلح كذلك

في الحديث عن هذه القصيدة . ففي الوقت الذي يبدو فيه الشاعر منهمكا في التعبير عن موقفه الجديد من الكلمة اذا به بنفس الحرارة يحدثنا عن عذابات اللاجئين وعمال المناجم في اوربا ، وعن الجوع في الصين والزنجي المهان في امريكا ، ويربط بين هذا كله بخيط شعوري واحد .

اما الظاهرة الثانية التي تلوح لنا في قصائد العدد الماضي فظاهرة عامة تنسحب على الوضع الراهن للشعر العربي كله . وتتمثل لنا هذه الظاهرة في وضوح عندما نقسم مجموعة قصائد العدد الماضي مرة اخرى الى قسمين : قسم تغلب على القصائد فيه الضبابية ويوحى بتمزق التجربة ، وقسم اخر فيسه وضوح وشفافية وتماسك . ولست انكر ان الشعر يقبل الجو الضبابي كما يقبل الشفافية . فالمسألة ترجع اولا واخيرا الى طبيعة الشاعر نفسه ، الى ذهنيته وطريقة استجابته للخيال ورؤيته الاشياء . وليس من حق احد ان يطلب من

- التتمة على الصفحة ٧٧ -

وفد كان روح التفاؤل سائدا في هذه القصائد الثلاث ، حتى قصيدة « اصابع المطر » التي يغلب عليها طابع التساؤل الالهي والقلق لم تخل من استشراف للمستقبل السعيد . على انه لا يحق لي ان اقرر روح التفاؤل على هذه القصائد وحدها ، فالتساؤل يشيع في معظم قصائد العدد الماضي ، وبخاصة في قصيدة « عودة التائه » للشاعر علي هاشم رشيد وقصيدة « لقد اخترنا » للسيدة الشاعرة ملك عبد العزيز وغيرهما . ولكن لما كان التفاؤل قد صار ظاهرة تقليدية فسي الشعر الذي يتصل بفلسطين فان هذا يحتم علينا ان نفرق بين تفاؤل وتفاؤل ، بين تفاؤل تقليدي يبدو مصنوعا متعمدا بوصفه قد صار عنصرا اساسيا في شعر النكبة ، وتفاؤل يبدو موائما لنسيج التجربة ، طبيعيا بالنسبة لها . اما انا فساكتفي بضرورة التنبيه الى هذا الفارق وادع الباقي للقارئ .

وقبل ان انتقل الى ظاهرة اخرى في شعر العدد الماضي احب ان انبه الى ان القصائد الثلاث التي اشرت اليها ليست وحدها القصائد التي توقع نفمة جديدة مبتكرة . فليست الجدة وليس الابتكار رهنا باستلهاام التاريخ واستقلال الرمز الشعبي ، وانما تتحقق الجدة والابتكار كذلك في القصائد التي تعبر عن التجربة تعبيرا فنيا مباشرا . واسوق مثلا على هذا قصيدة الشاعر ناجي علوش عن « الغريب » . صحيح ان التعبير عن الغربة جزء من الاحساس العام بالنكبة ، وكل القصائد التي اشرت اليها من قبل هي تعبير - بمعنى من المعاني - عن الاحساس بهذه الغربة ، لكن زاوية الرؤية فسي قصيدتنا هذه قد كشفت لنا جانبا نفسيا له خطورته ، بل لعلمي لا اغالي اذا قلت انها فسرت لنا معنى « الغريبة » تفسيراً نفسياً من الطراز الاول .

لقد استبطن الشاعر موقفه الراهن ، وتامل تجربته التي يعيشها ، تجربة الغريب ، وحاول ان يتفهم الدوافع الخفية التي تتحرك وراء هذا الموقف . فبعد ان حدثنا عن رؤيته المفاجئة التي جعلته يرى - عاكسا مشاعره الشخصية على الاشياء - كل شيء غريبا ، حتى قميصه وحذاءه والرؤى التي تمر به في وضوح النهار ، وبعد ان حدثنا عن مشاعره ازاء المدينة التي قضى فيها سبع سنين باحثا عن سلواه وامنه ، او باحثا عن نفسه ، لاحت له قريته القديمة وزيتونته الخضراء في الجبل ، التي ذوت ، لان راشدا الراعي اغراه زخرف الحياة فباع كل شيء ولجا الى المقهى لكي يقتل الملل بلعب القمار ، حالما بالثروة التي تجعله يعيش عيشة « الكبار » . وهذه الصورة التي رسمها الشاعر للراعي الذي يلجا الى القامرة لكي يجنب نفسه اعباء القامرة والكذ هي - فيما يبدو - انعكاس كذلك لنفس التجربة التي يعيشها الشاعر . ومن ثم نجده يقول في المقطع السابع من القصيدة :

انا غريب

وراشد غريب

غربتنا واحدة وموتنا

ورعبنا من الغد الغريب

وان يكن هناك

او كنت هاهنا

لاننا نقامر

لاننا نقامر

لاننا نعيش في مناهة انتظار

لاننا نبحث في مائدة القمار

عن روعة انتصار .

وبهذا كانت الرؤية في هذه القصيدة جديدة ومبتكرة ، لانها قبل كل شيء تجربة اصيلة .

وما دمت احدثت عن هذا اللون من القصائد التي تكشف عن اصالة وابتكار فلا يفوتني ان اشير هنا الى قصيدة « اكزوديس في الدار البيضاء » للشاعر احمد المجاطي . فقد اختار زاوية جديدة

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

السائح والترجمان لتوفيق يوسف عواد

محاورات الكرمليات لبرنانوس

غرازيلا للامارتين

قصة القرعة لمنذر الدقاق

واجمال نوعية أدبية

من الكتب القيمة

عندما كتب صديقي الدكتور صالح الاشتهر عن بعض ادب النكبة - اسني نكبة فلسطين - اختلفت معه في شيء واحد هو : انه تعجل فرصد للمأساة وهي لما نزل خارج الاستيطان عند الاديب ! وكان معنى ذلك اني لم الق معظم الآثار التي عرضت للنكبة تلقيا طيبا في اغلب الاحيان ، فقد كنت اراها اميل الى « الهنافية » او اكثر قربا الى ادب الاعلام - ان كان هناك كهذا الادب - ولهذا عجزت عن ان تقدم عطاءها في ايدولوجية رصينة متميزة بالحس المرهف .

اجل ، قرأنا بعض الاعمال الناجحة كقصة كنفاني « رجال في الشمس » وقصيدة فدوى « نداء الارض » غير ان مثل هاتين اذا قورن بضخامة الحدث وما قيل فيه باقلام السياسيين والاجتماعيين ، لا نملك الا ان نقول ان ادبنا المعاصر في جملته - وان ربطته الكارثة بواقفنا العربي - لم يزل في طور التنبئة والانتظار ، وكل ما صدر منه عما يخيل انه وضع طبيعي ليس في حقيقته اكثر من محاولات اجهاز لجنين لم يكتمل نموه بعد .

ولقد يمكن ان يرد علي قولي هذا ، ولا سيما من دعاة المقاومة ومن يرى ان ادب سلاح او ينبغي ان يكون ، غير انني اسرع فاقول : لا حاجة بنا الان الى الجوض في معركة طالما قسام نظيرها بين مسكرات الرأي ، فانه يصعب علينا باي حال من الاحوال ان نقبل - في نقد الادب - موقفا فكريا نراه من كل جانب ناقص التكوين او لم يهيا له ان يصحو من ظلمات الغيب ، وما اشبه هذه الظلمات بليل الصدمة التي نجمت عن وفوق الكارثة !

اننا نحب ان يكون لدينا ادب المقاومة ، ولكننا نحب اكثر ان تكون المقاومة في حدود امكانياتنا الاصلية . فلا نصرخ ولا تكابر ولا نندعي ما لا طاقة لنا به ، لاننا يوم نبرز للخصم مدفعا من الصفيح او طائسرة من الورق تكون كمن اقام بينه وبين اعدائه حصنا من الخشب فدفعه اول طلقة من رصاص .

وبهذه الفكرة التي نوقشت طويلا وستظل تناقش ، قرأت القصص التي نشرتها عن فلسطين مجلة الاداب في عدد مارس (اذار) من سنة ١٩٦٤ . وكنت لا ازال على رأي ان سنة عشر عاما لا تكفي للتعبئة الادبية الحقة . ومن ثم عن لي ان اثر فضيئة التعبير الفج تحت تأثير الحاجة العاجلة ، غير اني آثرت ان اجعل هذا طرفا من اطراف موضوعية النقد على النقد ان يتجردوا له بجوهر مستقلة مستفيضة . ومن ناحية اخرى رأيت ان اجعله نقط بداية او نهاية في التعرض لقصص العدد ، وعند ذلك يصبح من السهل ان نتصور ادب المقاومة بعيدا عن الطنطنة الكلامية والحماسة المصطنعة .

ومع ذلك فقد يكون من الضروري ان اقرر بادء ذي بدء انسي كنت كثيرا ما احار كيف اطبق مقاييسي الخاصة - على اي نحو - في الحكم على قصص اعلم ان اصحابها يخالفوني في اكثر من شيء ، الا اني كنت ازمع لنفسي ان ما اقوم به لم يقصد به سوى التفسير . فان دفعتمني حماسة المناقشة الى ضرب من التنفيه - بدعوى التقييم الحقيقي - فارجو الا يراه احد اكثر من رأي يدحضه رأي اخر اكثر منه استواء ونضجا .

ألقصة الاولى « نبي بلا احزان »

وهذه القصة ليست الاولى بحسب ترتيبها في عدد الاداب الماضي، بل قد نشرت في ذيل كل القصص . وعندما انتزعها من المؤخرة فاقدمتها على غيرها ثم اظفرها بالاولوية ، فاني لا اعني ان « الاداب » نشرت غيرها على أساس تقديم الاحسن منها فالحسن وهكذا ، ولا اعني كذلك اني رأيتها اكثر انطباقا على مقاييس النقد ، او قل اكثر خصوصيا لمقاييس واقفنا الادبي . وانما اعني انها قدمت عطاءها في يسر ، وصدقت عن نفسها ببساطة ، برغم كل ما زلت به قدم صاحبها .

ان علي زين العابدين الحسيني - وهو من غسرة - لا يحاول ان يقدم البطل الفرد الذي يلوذ بالقبائل كروين هود ، او الذي يسرع الى سيفه ومخاطراته كباردليان ، او الذي يتحصن بالبحر حتى تدين له فلاح البر ككاتبين بلود . بل هو لم يحاول ان يجعله « سيزيف » ولا « بروميثيوس » ولا غيرهما من ابطال الاساطير والملاحم ، ولكن جعله انسان العصر بكل عيوبه وفضائله . فهو يخطئ ويسقط ، ثم يحاول ان ينسى خطاه وسقوطه بالخمر - والخمر عنصر كلاسيكي في الاعمال القصصية - بل قد نراه يتحيز الى البورجوازية الالهية ، ويلجأ الى قوى الظلام باعتبارها نهاية المصير .

وكانت الخطة العامة التي اتبعها الحسيني كؤلف تقضي بان يجعل تأملات بطله هذا متقافزة ، ففقد بين تمزقه النفسي وبين احسد اساليب القصة الجديدة ، واستطعن ان نفث على اكبر قدر من التجربة - تجربة المحنة - باقل قدر من التعبير . وفي ضوء هذا يتضح لنا ان الاعتداء على زوجة البطل من جانب اليهود هو المحور الذي تقوم عليه القصة ، فابتعدت من ثم عن غنائيات الحماسة وتفجعات المقاومة التي اعتدنا ان نراها في اكثر اعمال النكبة الفلسطينية .

لقد قالوا لرمزي - وهو البطل - ارحل وستنسى ، ورحل ولم ينس ان اربعة من اليهود تركوا صديدهم في احشاء زوجته . وقد كان يراها فتقصف مضجعه ، وتعودت هي ان تلوذ باقصى الفرقة لتضرب بطنها وتصيح : يهودي في بيتنا ! ولكنه كان لا يفعل شيئا لان حزنه كان اكبر منها ومنه ، وعندما اشعلت النار في جسدها تركها بجبن لمسيرها وهي تحاول ان تنطق باسمه تريده ان يغفر لها .

« هل كان بإمكانني ان اصف كيف نطقت باسمي ؟ يا الهي كيف . . كيف تنفصل عنا الذاكرة ؟ كيف يسقط منا الشعور ؟ كيف لا نصدق ؟ كل ليلة اتعاطى حبوبا لانام . . منذ سبع ليال وانا اعدو من اشباحي . » لقد انتهى الحسيني ببطله الى نهاية بطل كامو في « السقطة »

صدر حديثا :

تأليف :

الدكتور عبد الجبار الجومرد

داهية العرب

ابو جعفر المنصور

مؤسسة الدولة العباسية

عن دار الطليعة - بيروت ص . ب ١٨١٣

حيا نظير ثلاثة الاف جنيه ، ولما كان هذا المبلغ يكفي لاطالة امد المعركة قليلا فلا اكثر من استغلال الطلب بصورة يصل المبلغ فيها الى اصحابه . وقد نم الاتفاق على ان يقدمه واحد من رفاقه - بصفته خائنا - البسى اليهود ويقبض الثمن ، على ان يعمل هو على الهرب بعد ذلك . واذا كان رفاقه قد نجحوا في الشطر الاول من الخطة ، فانهم في الشطر الثاني فشلوا لان اليهود - بعد ان دفعوا الثمن - لم يتمكنوا من الهرب قط . فقد عجلوا بصلبه ليعجلوا بنهاية بطل من ابطال المقاومة .

ان القصة في حد ذاتها تفضي بنا الى مسألة خطيرة في النقد ، ذلك انها تثير السؤال الخالد التالي : اكان نجيب الكيلاني مقنعا فسي تقديمه عاهد شاكر ؟ ويمكن ان يتحول هذا السؤال الى سؤال اخر اوضح هو : اترى اصاب الكيلاني حين قدم لنا حقيقة عاهد شاكر على ذلك النحو الذي رأيناه ؟

لست ادري بماذا اجيب في الحقيقة ، ولكنني ارى ان ما قدمه نجيب الكيلاني - وان يكن مخالفا للمألوف من طبيعة البشر ومن ثم يخالف ما نسميه بالحقيقة العلمية - لا يبدو شاذا في القصة ، تماما كما لا يبدو شاذا ما سيق في روبنسون كروزو وما سيق في رحلات جاليفرو . حقا لا ينطبق ما في هاتين الروايتين على ما يصدق عليه واقعا الفعلي ، الا اننا من الناحية الفنية لا نرفضه تحت اي دعوى من الدعاوى الكثيرة في النقد .

اذن فقد كان منطق « المصلوب » يفرض علينا ان « نصدق » صورة البطل المضحي الى حد الجنون .

وماذا بعد ذلك ؟

وبالقدر الذي جعلنا به « المصلوب » قصة ثانية لا نجد القصة الثالثة . فالقصاص الرابع « عندما تشرق الشمس من المقيب » و« الغرباء »

- التتمة على الصفحة ٧٨ -

حدث جديد في المكتبة العربية

تاريخ الحضارات العام

أوفى واشمل موسوعة حضارية في سبعة مجلدات من ٥٠٠٠ سنة قبل المسيح حتى يومنا . صدر منها المجلد الاول بعنوان :

١ - الشرق واليونان القديمة

وهو يقع في نحو ٨٠٠ صفحة من القطع الموسوعي الكبير ، مجلد بالقماش ومزود بالخرائط والتصاميم واللوحات التاريخية .

الثمن ٢٥ ليرة لبنانية

٢ - روما وامبراطوريتها

(تحت الطبع)

منشورات عويدات

ص ب ٦٢٨ بيروت لبنان - تلفون ٢٤٢٦٦٠

يجمعهما الجبن والاحساس بالاثم ، ولكن حزن رمزي اكثر ضراوة واثارة حتى لينكر كل شيء . . السماء والنجوم والناس والاصدقاء ، وعندما قابلته تلك البقي في الطريق لم يجد عندها شيئا . اجتمع بهسا على فراش واحد ، ولكنه لم يستطع الا ان يفرغ احزانه في احشائها لينتشي وينام !

واذ ذلك خرجت البقي وقد احست انها « تحمل » الحزن ، ورات بعينيه ان السماء - التي قد نرحم - اعلى مما يجب .

تلك هي الخطوط العامة لقصة الحسيني ، وان تكن من المؤكد افقدت العمل الاصلي « عرامة » التفصيلات التي تلعب برمزي دورا رئيسيا في بلورة الحدث . غير انها على كل حال ضرورية لاي قارئ لم ينح له الاطلاع على القصة من ناحية ، فضلا عن انها من ناحية اخرى تبين ان الحدث الذي بدأ من حيث وقعت النكبة يمكن ان يكون اساسه اي شيء اخر . بمعنى ان واقعة « الاعتداء » على زوج رمزي ليست خاصة من خصائص اليهود وحدهم ، وانما هي ظاهرة تتفشى بين المخربين عامة . ولعل هذه زاوية يمكن ان يهاجم منها الحسيني ، ومن حيث نحس ان وراء الاعتداء عملية تفتيح من نوع جديد - وهي التي افسدها الحسيني بان جعل البقي تهتف في حركة مسرحية بعد ان نام رمزي بجانبها : افرغ شهوة احزانه في احزاني - نرانا نقرر ان سر تفوق الحسيني لم يكن لانه استنبطن تجربة النكبة ، ولكن لانه استنبطن تجربة انسانية في اوسع اطار انساني لها !

والدليل على ذلك انه وهو يدفع بنا وراء بطله - وقد كان ايقاع القصة سريعا جدا - ثم وهو يتكئ على نوع من الحوار الباطني ليحلل افكاره على طريقة جيمس جويس احيانا ، واخيرا وهو يسرد ويختصر ويسلسل الانفعالات النفسية . . اقول بان الدليل على ذلك - وهو في كل هذا - انكأؤه على موتيفات لا اقليمية ، ثم استجابته الى مؤثرات لا تستوعب الابعاد اللازمة لجوهر النكبة .

ومع ذلك فستظل قصة « نبي بلا احزان » في مقدمة الاعمال القصصية التي قدمتها مجلة « الاداب » في الشهر الماضي .

القصة الثانية :

هي للاديب الذي عرفته القاهرة - وعرفه العالم العربي - يكتب القمص التاريخي بنجاح ، وقد يكتب المسرحية التاريخية ايضا ، ونشرت له مؤخرا احدى دور النشر في ليبيا « العالم الضيق » . ولقد سعدت ان يسهم هذا الاديب وهو نجيب الكيلاني بقصة « المصلوب » في معركة فلسطين ، ليس لانها من النوع الممتاز لادب المقاومة ، ولكن لانه لم يتورط بها فيما تورط فيه من اعمال ادبية من نوعها وسبققتها .

ولقد يمكن ان تلحق بالمصلوب قصص اخرى ولا سيما هذه التي تعتمد الاحداث وتعقدتها لتكون هناك حبكة او ما يجري هذا المجرى ، الا ان نجيب الكيلاني تمكن من ان يخفق نيرة التحمس فيما لا طائل وراءه ، ويقدم البطل في نوع من الوعي هو ما ينبغي ان يقدم للقارئ . ومن ثم لم نجد في طريقته حقيقة صعبة او حقيقة يشق على اي عقل ان يواجهها . فعاهد شاكر - البطل - معقول الى الحد الذي يحرص فيه اي رجل على ان يبسطه بخاصة لخطيئته ، ومغامراته من اجل رفاقه لم تكن كمخاطرات السوبرمان لانه يربطها باحتمال يبدو بعيدا احيانا وان يكن بالنسبة للمحاربين واقعا ابدا او هو يقع باطراد .

لقد كان عاهد شاكر يعيش لحظة تمزق ، لان رؤيته لدم الضحايا - بالامس القريب - تؤرق عليه سعاداته . وهو قد قرر ان يضع حدا لتمزقه ، ولما كان رفاق المقاومة يحتاجون الى المال لشراء السلاح فقد اهتدى الى شيء . رجع من الميدان - والبيئة المكانية عنده غير واضحة تماما - وودع خطيئته « ودبعة » دون ان يلوح لها بشيء مما عقد عليه عزمه ، ولكنه حدثنا عن الخيانة والموت والارواح التي لا تعرف الزمن ولا المسافات .

وعندما التقى برفاقه ثانية يتكشف كل شيء ، فاليهود يطلبونسه

الابحاث

- تمة المشور على الصفحة ١١ -

الحيوية القومية التي كانت تدفع بالعرب جميعا ، برجوازيين واقطاعيين وفلاحين ومثقفين ، الى معاناة الخطر العام الناجم عن غزو اليهود المتزايد يوما بعد يوم . فاليهودي الفقير او الغني هو سواء من حيث انه غاز مسلح بمشروع استعماري بعيد المدى .

٢ - ثم يفند الكاتب (الرؤية الشوفينية) للمسألة الفلسطينية ، لانه يخشى على هذه المسألة من ان تؤلف صراعا تعصبا بين قوميتين . تكما هو ضد التعصب الديني ، فانه كذلك ضد التعصب القومي . خاصة وانه قد يفهم من هذه الرؤية ان اليهود يؤلفون قومية قائمة بذاتها . ولكن الكاتب لم يبين لنا متى تنتهي حدود القومية في هذه المسألة ومتى تبدأ حدود الشوفينية . ولست ادري ان كان الكاتب يعتبر ان القومية العربية ، وفي هذا النطاق بالذات ، هي شوفينية ام لا . ليس هناك من جواب مباشر .

ومن جهة اخرى فانه يهاجم من خلال هجومه على الشوفينية ، الاستغلال اليميني لهذه القضية ، وتفسيرها للقضية اليهودية على اساس الطبع اليهودي الذميمة والاخلاق اليهودية السلبية . فقد نقض بذلك هذا الجزء من اليهود الذي لا يناصر الصهيونية - مع العلم ان الاحداث قد ثبتت ان هذا الجزء لا اهمية له في ميزان الواقع ، وان الصهيونية العالمية استغرقت تقريبا كل اليهود في العالم ، ما عدا بعض الاصوات من علماء ومفكرين .

اما ان الرؤية الشوفينية قد تخسر تأييد القوى التقدمية في العالم، ومنها الشيوعية طبعاً ، فذلك قد يكون صحيحاً . ولكننا لم نعلم حتى الان ان كان يعبر الكاتب القومية العربية في مضمونها الاشتراكي التقدمي ، شوفينية ام لا . والقومية العربية من جهة اخرى ملزمة ان تدرس علاقة المسكر الاشتراكي التقدمي في العالم بالقضية الصهيونية من وجهات نظر مختلفة حسب الظروف السياسية المتطورة . فقرار التقسيم مثلا ايدته روسيا الستالينية . وحتى اليوم لم تتضح وجهة نظر المسكر الشرقي بصورة نهائية من مأساة فلسطين ، وان اصابها كثير من التحسن عما كانت عليه من قبل .

وللكاتب تحليلات طبقية متشعبة ضمن فلسطين قبل النكبة ، كانعكاس لوضع الامبريالية وغيرها . وقد يمكن متابعة هذه التحليلات احيانا لو اتضحت الادلة عليها ، بصورة كافية اكثر . وقد تصدم بعض هذه التحليلات الوجدان القومي عند القارئ ، خاصة عندما يحاول الكاتب نفس الاضطهاد اليهودي ، وتبرئة الجماهير اليهودية في فلسطين من موقفها العدواني ، وتوحيد وضعها الاقتصادي مع الجماهير العربية الاخرى ، وتصوير قضية فلسطين كلها ، وكان العرب واليهود (معاً) كانوا ضحية للعبة الانكليزية الامبريالية . ومما يؤذي وجدان الماساة ايضا هذا التفسير للحرب الفلسطينية ، وكانها حرب مصطنعة دفعت اليها البرجوازية العربية للتخلص من بعض تناقضاتها الداخلية . وكان الاخرى بالكاتب ان يتذكر الاحداث ، فيرى كيف ان الحكومات الرجعية، قد دفعت دفعا من قبل الجماهير العربية لاعلان هذه الحرب ، ثم خانتها . وعلى كل حال ان عيب التطبيقات الماركسية على مشكلاتنا القومية والاجتماعية - هذه التطبيقات الاخذة بالنمو والانتعاش ثانية في ايامنا هذه - هو انها تفتقر دائما الى ثلاثة عوامل اساسية : اولا - الفهم الحقيقي العلمي للماركسية وتطوراتها ومدارسها المختلفة . ثانيا - الامانة المخلصة لمعطيات واقعنا العربي وخصوصية مشكلاته . ثالثا - القدرة على اصطفاء الاطر النظرية وملائمتها مع هذه المعطيات، دون تصسف او قسر يشوه المبدأ النظري من جهة ، ويؤذي وجه الواقع من جهة اخرى . ويأتي مقال الدكتور (زكريا ابراهيم) وهو (شهادة فيلسوف امريكي حول القضية الفلسطينية) صورة فكرية عن مناقشة الحجج الصهيونية التقليدية من اجل الاستيلاء على فلسطين . والمقال طريف في حد ذاته،

يقدم نموذجا عما يمكن ان يشير مفكرا غريبا متدينا ضد اقامة وطن يهودي في فلسطين . ولسنا ندري من خلال هذا المقال ، ان كان (هوكينج) يتحمس لعدالة القضية العربية ضد اليهود ، من اجل هذه العدالة ذاتها ، او لدوافع دينية وفكرية موضوعية اخرى . وعلى كل حال فان هوكينج يبدو انه قانع بان اليهود يصدفون حججهم تلك ، دون ان يكشف عن الدوافع الاستعمارية والراسمالية اليهودية والغريبة وراء هذه الدعوة الشرسة لاقامة دولة اسرائيل

هذه بعض الملاحظات العابرة حول بعض المقالات السياسية والتحليلية التي حواما العدد الممتاز . واما المقالات التي تتوجه الى دراسة ثقافة النكبة ذاتها ، فهي قليلة . وهذا القليل لا يفي باي جزء من الموضوع . ولربما افادنا الاخ عبد الجليل حسن من مقاله الذي استعرض فيه فهرسا شاهلا حول مختلف الكتب والدراسات التي ظهرت عن فلسطين . واذا كان هناك من يتوي ان يقوم بدراسة حول ثقافة النكبة ، فلعلة يستفيد من هذا الشبث الفهرسي الجامع . انه توطئة علمية لدراسة علمية .

ولا بد اخيرا ان اسجل هذا النقص الكبير الذي يلحقه القارئ في العدد الممتاز فيما يتعلق بالهدف الاصلي للعدد ، وهو دراسة ثقافة النكبة، بما فيها من ميزات ونواقص . انه عمل لا بد ان يستثير همم الادباء مجددا ، في هذه المرحلة ، ليساهموا الى جانب السياسيين في خلق الجو الملائم لمركتنا القادمة .

مطاع صفدي

معجم البلدان

للعامة ياقوت الحموي

لسنا مغالين اذا قلنا ان مكتبة العالم والاديب والمؤرخ وكل من يعنى بشؤون الفكر يجب ان لا تخلو من هذا الكتاب النفيس فقد ذكر فيه مؤلفه جميع اسماء القرى والبلدان . وقرر مواقعها الجغرافية وميزاتها وما اشتهرت به ومن انبتت من العلماء والشعراء ثم اضاف الى كل ذلك اشعارا رقيقة تتعلق بالبلد الذي يتكلم عليه ، الامر الذي ابعده عن هذا الكتاب جفاف البحث العلمي وجعله سائفا مفيدا تلذ مطالعته .

صدر في عشرين جزءا (٥ مجلدات) ثمن الجزء ٤٠٠ ق.ل

الناشر : دار صادر - دار بيروت

القصائد

- تمة المنشور على الصفحة ١٣ -

الشاعر نزع الغلاف الضبابي الذي يحيط بعمله الفني . فهذا شيء لم يكن في وسعه ، ثم ان كثيرا من هذه القصائد الضبابية ينتج في ان يخلق في نفوسنا اثارا سرعان ما تتجمع وتتبلور في نفوسنا مشاعر عميقة وان لم تكن دائما ذات طابع محدد . ولكن ينبغي الاتسبنا هذه الحقائق حقيقة اخرى مهمة ، وهي ان الضبابية المتكلفة ، لا لشيء الا للابحاش بان وراءها شيئا وشيئا ثمينا يستحق العناء من اجل الوصول اليه ، لا يمكن قبولها بحال من الاحوال ، وينبغي الاتسبنا علينا بالضبابية التلقائية . والفصل بين هذه وتلك يحيلنا الى الكلام عن نضوج التجربة . فالتجربة الناضجة تفصح عن نفسها حتى في اكثر اطر التعبير ضبابية . وعلى هذا الاساس نستطيع ان نميز بين تجربة وتجربة ، ونتيجة لذلك بين قصيدة وقصيدة . على انه اذا كان من الصعب لدى القارئ تحديد مدى نضج التجربة ذاتها فلا اقل من ملاحظة التعبير والابحاشات المختلفة التي يثيرها كل مقطع في القصيدة وكل بيت بل كل عبارة وكل كلمة .

واسوق الان مثلا من قصيدة الشاعر محمود البستاني « هي وايار والشاء » . فهو يقول في المقطع الاول منها :

وحذقت عيناى والريح في ابعاد ابعاد السدجى تعسوي
يقور في كهفيهما جامدا كل نهار راعش الصحو
تحدجان الشبح المنزوي وراء غابات من الشجو
يقتاده الفيب الى مخدي عبر روى مشلولة الخطو
تحمل لي من لسعات الدجى اي تهاويل هنا تشوي
تهجس بي تهمس مهتاجة - وموكب الزحام بي يلوي -
عن ازمان العالم المرتشي ضميره فسي غمرة السطو
« الهه » يبحث عن « حاذق » يذر في الاعين ما يفوي
يفوي بذر الموت لم يرتش « كفا » تدري شبح المحو
يبحث عن سهم « كيوييد » من « بفضائه » طلائع الفزد
أليس سهم الحب نهر الى حقل « يهوذا » مره يستهو

واعتذر اولاً عن هذا الاقتباس الطويل ، ولكنني شئت ان اجمل المقطع كله بين ايدينا . فكثيراً ما تعكس بعض الصور ظلالها على بعض فتتضح امامنا الرؤية بعد ان تكون قد استوعبنا الموقف كله بكل صوره الجزئية . فاذا لم يتحقق هذا الانعكاس وشطحت بنا كل صورة في واد كان ذلك دليلاً على تميز التجربة الشعورية وعدم وضوح الرؤية .

فاذا عدنا الى الابيات وجدنا انفسنا في البيت الاول قد تهيأت لاستقبال رؤى مخيفة . فالليل داجن والريح تعوي . وسواء اكان هذا العواء هو حقا عواء الريح ام العواء الذي يصطخب في اغوار (ابعاد ابعاد) نفس للشاعر فالنتيجة واحدة ، وهي ان الصور المرئية محيطة وممزعة . لكن هذا التوقع يصطلم فجأة بصورة اخرى عن نجمد كل نهار صحو في عيني الشاعر . هذه النقلة المفاجئة تبدو لي معترضة طريق الرؤية ومعتلة لها بلا مبرر . فالسياق النفسي يتسق تماما لو ان الشاعر اسقط البيت الثاني واستبد هذه الصورة الطارئة . ان عينيه قد ابصرنا في ظلام الليل شبعا ينزوي « وراء غابات من الشجو » ، وهذه الرؤية متسقة . فكثافة الاسى الكامن في نفسه تجعل المرئي شبعا غير محدد المعالم . هذا جميل ، ولكن ظهور هذا

الشبح لم يعكس بعد ذلك على الرؤية في مجملها . فما كاد الشاعر يحدثنا عن مجيء هذا الشبح عبر رؤى مشلولة الخطو حتى تركه - بلا مبرر - لكي يحدثنا كيف ان هذه الرؤى تحمل اليه لسعات الدجى التي تهجس في نفسه وتهمس في هياج - لا ادري كيف - عن ازمان العالم المرتشي . يا لله ! اكان ادراك « ازمان العالم المرتشي » في حاجة الى كل هذه الرؤى والتهاويل ؟ لقد هبطت على رأسي عبارة « ازمان العالم المرتشي » كقطعة الثلج في برودتها وواقعتها، وجملت كل البطانة النفسية التي مهد بها الشاعر كما لو كانت مجرد عبث من عبث الخيال .

هذا المثل يوضح لنا كيف تكون الرؤية مزقة نتيجة لعدم نضوج التجربة وتماسكها ، وكيف تكون « الضبابية » في هذه الحالة مجرد لعب بالخيال والصور اللفظية الجزئية . وفي هذه الحالة لا نملك الا ان نفضل التجارب الشفيفة المتكاملة التي تنقلها الينا قصيدة كقصيدة « عودة النانه » للشاعر علي هاشم رشيد او قصيدة « الغريب » للشاعر ناجي علوش .

وبعد فقد مرت جولتنا في شعر العدد الماضي بمعظم قصائده . وما كانت غالبية موافقا مع هذه القصائد تلخص في محاولة تفهمها او استنباط الظواهر العامة والقضايا المشتركة فان بعض القصائد لم ترد في سياق حديثنا الاشارة اليه . ولكنني احب ان اؤكد ان هذا لم يكن اهمالا مني لشانها وانما الامر لا يعدو ضيق اطار الحديث نفسه عن استيعابها .

عز الدين اسماعيل

القاهرة

صدر اليوم عن

دار النشر للجامعيين

الحركة العربية الواحدة

بقلم
عبد الله الريماوي

اول كتاب من نوعه يعالج مسائل العقائدية بمنطق عقائدي ثوري ويبين الاسباب التي ادت الى نكسة الوحدة ويوضح النقاط التي يجب ان تقوم عليها الحركة العربية الواحدة .

القصص

— نعمة المنشور على الصفحة ١٥ —

و « الطريق المسدودة » و « جريمة في قطنا » في درجة واحدة من الجودة محافظة على معنى التمزيق والضياع ، وان تفاوتت مأخذها بين الاغراق في المحلية والتفاني في التغرب .

وربما كان علينا ان نقدر تقديرا صائبا مهارة اصحابها . فالتقدير في حد ذاته بعض ما يقر به اي ناقد ، غير ان لفت النظر الى مأخذهم لا يختلف عن التقدير نفسه، فتصبح المسألة هي : هل استطاعوا ان يقولوا ما يجب ان يقال ؟ ولا اسأل ماذا كان مدى مقدرتهم على الوفاء للقضية، لانني لم اقصد بهذا الى الحسيني ولا الى الكيلاني .

وليس المهم في سبيل الوصول الى الحقيقة ان نقر باختلاف كل منهج عند كل قاص — اذ لا بد ان يكون نمة اختلاف — بل المهم ان نتأمل السياق الفكري والعاطفي الذي لا يطمس المضمون قط ، ولحسن الحظ ان القاصين الاربعة كانت لديهم قوة الافناع بمضمون لا ترفضه حتى العقول المتبلدة .

وابدأ بقصة احمد سويد « عندما تشرق الشمس من الغيب » فلقد انا فاطمة ام جابر — وهي واحدة من لاجئي احد الخيمات — تستعيد ذكريات الامس متطلعة الى بيتها على الطرف الاخر من صفد ، وكان قد اغتصبه اليهود من سنوات وصرعوا ابنها « جابر » في معركة القسطل ، ثم صرعوا ابيه في احدى معارك المقاومة . وبقيت هي مع حفيدتها زياد وجهاد ، ترقبهما وهما يشبان عاما بعد عام ويتعلمان كيف يبعثان الشمس من حيث غابت خلف صفد . وموتيفات القصة كثيرة جدا ، ولكنها لا تقدم نقلات ايجابية في

صدر حديثا

تسع قصص

للكاتب الاميركي الشهير ج.د. سالنجر

ترجمة ملك ابيض العيسى مراجعة سليمان العيسى

القلقون

تأليف آسيا جبار ترجمة مندر الجابري

خمسون الف دولار تسعها تلوج كليمنجارو

للكاتب الكبير ارنست هيمنفواي ترجمة غيات حجار

الشیطان والاله الطيب

للفيلسوف الفرنسي الكبير جان بول سارتر

ترجمة غيات حجار (طبعة ثانية)

العبت

تأليف البير كامو ترجمة سالم نصار

دار الاتحاد للطباعة والنشر

البنایة المركزية — هاتف ٢٩٣٩٤٥ — ص.ب ٢٢٥٩

بيروت — لبنان

السياق . فاليهود الخنازير يريدون تجفيف الحولة ، وسميحة اخت فاطمة لا تزال في كنف « الكفار » اي الخنازير انفسهم ، وهم ايضا قتلوا « طحيش » الكلب لانه نبح فيهم ، وبيتها فوق التلثة الخضراء نزل من سبائك يهودية لتصيد الرجال واحدا بعد واحد ، وهكذا ...

فنسأل : اترى كان يمكن لاحمد سويد ان يتغلى عن هذه الصور ؟ ان للناقد الحق في ان يفصل ما استطاع في مثل هذه المشكلة ، وعليه حين يقر بضرورة وجود موتيف دون اخر ان يفتع الفنان بما يقر، والا فستظل دعواه مجرد اقتراح لا خطر وراءه .

وانا متفق كل الانفاق مع المؤلف في ان موتيفاته — وقد كانت في اطار اقليمي نابض — رسمت الجو المناسب ، واعلم ايضا ان زحمتها كانت متساوقة مع عمليات الاجترار التي كانت تصدر عنها ام جابر ، بل اعلم ايضا ان موضوعية الفصة نفسها لا يمكن ان تقوم الا عليها وبالطريقة التي بسطت بها . الا ان كل هذا لا يمتنع من ان اسأل احمد سويد : ما ضرورة حكاية « زرع الاسماك » مثلا ؟ الم يكن اولي به ان يقف عند رحلة الخروج في سهل الجاعونة لتكون نمة مقابلة بين خروج العرب وخروج اسرائيل القديم ؟

واكثر من هذا اسأل : اترى كان ينقص الفصة شيء لو حذف منها « مشهد » اليهودية التي تصيد الرجال في بيت ام جابر ؟ ان لليهود مخازي دونها هذا المشهد بكل تفصيلاته !

انني اقول ان احمد سويد كان مؤثرا شاعرا ، ولكنني لا اطلب من القصة ان تعطيني هذا العطاء فقط .



ونصل الى « الغرباء » التي كتبها من بيروت حسين قاسم، وتبشترك مع قصة سمر العطار « الطريق المسدودة » في شدة القصر ، كما تشاركها في تقديم صورة الفلسطيني المهاجر . ولكن بينما يجري قاسم وراء مهاجره في كامبوسي ومدن سان باولو — لعله يقصد ساو باولو — نرى سمر العطار تتعقب بطلها في سوريا وفي جبهتها الامامية ، لانه كان ضابطا وكان يؤله ان يسمع من يقول : هو فلسطيني !

كان يستشعر عارا ، وكان المهاجر الى البرازيل يحس العار نفسه . وكلاهما بعد ذلك مضيع ، غير ان ضياع البطل في ساو باولو كان يصاحبه مرارة تدل عليه حملة جواز سفر عليه انه « مواطن دولي » بعد ان كان عربيا من رام الله . واما الضابط فقد كان يحاول ان يكون انسانا في وطنه الجديد — لانه قطعة من ارض العرب — ولكنه صرع وكانت اليد التي صرعه يدا عربية وقيل اذ ذاك : كان فلسطينيا ! اهي خيانة ؟

ان سمر العطار تقول ان ضابطها ابعده عن الجبهة لانه لم يجد الكيان الذي اصطنعه ضباط الانقلاب الانفصالي في سوريا . وعندما فكر في زيارة صديقه ليعرف هل هو احد الذين خانوا قضية العرب في اطارها الوجودي الاول اردته رصاصة على باب خيمة الصديق في المسكر .

ولكن عنصر الخيانة في قصة قاسم اكثر سفورا ، وكان يدور حول الدور الذي لعبه جلوب باشا ابو حنيك بعد سقوط لواء الجليل ، وانتهى بالقضاء على المقاومة العربية . لقد مر عليها قاسم ، ولكن بيد ماهرة ربطت اقصوصته برباط متين ، ومع ذلك فلم تكن تلك القصة في جملتها محكمة تماما . بل لعل قصة سمر اكثر منها احكاما ، برغم ان هذه بدورها ليست من النوع الذي يمكن ان يكون نموذجا رائعا .



واخر القصص « جريمة في قطنا » وقد كتبها محمد المجذوب مصطنعا فيها اسلوبا رفيعا واناقة ظاهرة . واخشى ان اكثر النقاد — ولا سيما الموقفين منهم — يختلفون معي في تقبل تلك الصياغة المترفة ، دلهم ان يقولوا : قد يقبل التصنع الانشائي لو كانت القصة لا تريد ان تكشف عن موقف ، اما وانها تناقش قضية الفلسطينيين على الصعيد الواقعي والانساني فليس يحق للفنان ان يعنى باكثر من الحقيقة

صدر اليوم عن دار النشر للجامعيين
كتاب الموسم العقائدي

الحركة العربية الواحدة

بقلم

عبد الله الريماوي

تحليل علمي ثوري للواقع العربي والمركة العربية
بمنطق وحدة الهدف العربي يبين المتناقضات والمصالح
والقوى المتصارعة في المركة العربية في مرحلة التحول
الثوري العربي .

● يفضح الوجوه والواجهات الجديدة للتحالف
الاستعماري الصهيوني الرجعي واحتكارات البترول .

● يشرح الواقع الحزبي في الوطن العربي على صعيد
العقيدة والنضال والتنظيم في ضوء النشوء والتكوين
والمواقف والمسالك وبالنسبة للقضية والمركة ومهماتها .

● يؤكد ان الحركة العربية الواحدة هي الصيغة
الايجابية الثورية الوحيدة لوحدة النضال الجماهيري
العربي وانتصار الثورة العربية وانها التجسيد العقائدي
العلمي الصادق لوحدة الامة العربية وقوميتها .

لوحدة الثورة العربية وهدفها

لوحدة العقيدة العربية ومنطقها

هي ميلاد - بالثورة - جديد ، وليست تجميعا
بالالتقاء للقديم القائم .

هي تخط تطلبه وتحدد معالمه الثورة والعقيدة
والتجربة والجماهير :

للحزاب والحركات والمنظمات القائمة في وجودها
ومقوماتها وفي تعديها وفي منطقتها التابع من ذلك
الوجود والتعدد .

عارية .. شنيعة ! بل قد يضيفون الى ذلك قولهم : كلما كان الكاتب
اقرب بلفته الى لغة الحديث العادي او الى لغة الصحافة اليومية كان
اقدر على ((التفاهم)) والمطاء والتفسير .

ونحن عندما نتمعق هذه الدماوى يتبين لنا خطتها ، لان لاي قصة
اسلوبها الذي ينبغي ان يرتفع عن اسلوب الحديث العادي باعتبارها
فنا والفن في الحقيقة . استعداد وفطرة ومعاناة وكد .

ومهما يكن من شيء فان القصة قد تفري باكثر من ذلك ، ومن ثم
ندع مشكلة اللغة الى احدائها فترى رقيقا في قوة الرموك بدمشق -
اسمه برهان - يتصل به عن طريق الهاتف زميل من ضابطة قطنا يخبره
بان رقيقا اردنيا - وهو من قوة برهان - قتل عند مدخل البلد . وانه
يستعد للتحرك والتجري يذكره خبر الموت بموت زملائه القدامى في
معارك القدس وغيرها ، وكيف ان الله مد في عمره حتى يشهد بعيني
رأسه كيف اصبح الجهاد من اجل فلسطين فرصة للائم .

وعندما وصل الى الطريق الداخل الى قطنا مع المحقق ، اطلع
على التقرير الذي كتبه كبير الدرك . وعن طريقه نفق على حقيقة
شخصية الميت . فهو شهيم شجاع اعتاد ان يتردد على مركز قطنا في
اثناء تجواله لمراقبة المتطوعين ، وكان اخر عمل قام به هو اخراجه بعض
المتطوعة بالقوة من خمارة ((ابو جورج)) . وحيء بالخمار ، فذكر اسماء
بعض مرتادي خمارته ، وعن طريقهم حصر روادها وظهر ان جماعة من
العاملين معه اغتالته . وعلى الرغم من ان محاكمة القتلة كانت تجري
مجرها الصحيح ، فقد ظل برهان يقول لنفسه : لقد جاء هؤلاء ليظفروا
بالشهادة في فلسطين او يسهموا في انقاذها ، فلماذا حرموا احدى
الحسنين ، ومن المسؤول عن تحولهم الى هذا المصير الحفر ؟

ولا نلظر بجواب ، لانه هو لم يجب وحسنا فعل . بل لسئل
الاحسن كان لو لم يلق السؤال اصلا ، اذن لاسترحنا من اثاره مشكلة
التصريح بالهدف على هذا النحو من التحمس الاجوف .

يريد المجذوب ان يقول ان البطالة كالغربة تفسد النفوس ، وان
تجديد ((الوضع)) على ما انتهت اليه الكارثة مع وجود الشباب المتطوع
للمقاومة ينحرف بهمة هؤلاء الشباب ويجعل من شواغلهم متمهم
الرخيصة فقط بدلا من الايمان بالمقاومة نفسها .

لان ينسع المكان ولا الوقت بعد ذلك للتدليل على خطأ هذه الطريقة
في الكتابة القصصية ، فليس ما يقنع سوى المقايسة بالاعمال الناجحة
وللمجذوب ان يقرأ ما يريد من اعمال السابقين الناجحين . الا ان
قصته تظل بعد ذلك جديرة بالقراءة واعادة النظر فيها مرة بعد مرة ،
لانها تثير قضية اخطر ما يتعرض له المقاومون .

ولا يبقى شيء ، اللهم الا ((سيناء بلا حدود)) للقاصة سميرة عزام .
وكنت ارجو لو انني استطعت ان استشف شيئا ، ولكن فضلا من رواية
او قل جزءا من فصل من رواية لا يمكن ان يسمن او يفني من جوع .
وانا اعرف سميرة عزام قصاصة مبدعة ، ولهذا اراني مضطرا الى
الاستنتاج بان ((سيناء بلا حدود)) عمل سيجد فيه الف ناقمة ما شاء
لهم ان يجدوا من لمحات الفن الرصين . فلانرك الجزء الصغير في انتظار
الكل الكبير ، وليكن ختامي بالعودة الى ما بدأت به عن ادب المقاومة
فاقول اننا رأينا - بعد الرحلة التي قمنا بها مع قاصي الاداب - محاولات
في بعضها خصوبة وفي بعضها الاخر تبشير بخصب واعد . وهذا في
حد ذاته ان كان خيرا فلا يدل الا على اننا نعيش ادبنا دون مستوى
النكبة ، ومن يدري فقد يمضي هذا الجيل كله قبل ان نقرأ الاثر الذي
يمكن ان يقال انه حقيقة في مستواها .

احمد كمال زكي

القاهرة